﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١﴾ [الأنبياء: 61]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا شاهدَ القومُ كسْرَ أصنامهم المزعومة وتحطيمَها، وقيل: إنَّ فاعلَه إبراهيمُ ﷺ؛ قالوا فيما بينهم: ﴿فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾، أيْ: بمرأى منهم، يشهدون ما سيحِلُّ به من العذاب[1]، تنكيلًا به وردعًا لغيره.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأۡتُواْ﴾: (أتو، أتي) أصل يدُلُّ على مجيءِ الشَّيء وإصحابه وطاعتِه، والأَتْوُ: الاسْتقامةُ في السَّيْر، وتقولُ العرب: أتَوْتُ فلانًا بمعنى أتيتُه، ويمكن أن يكون من (أتي): تقول: أتاني فلانٌ إتْيانًا وأتْيًا وأتْيةً وأتْوَةً واحدةً، يُقال: تِني بفلانٍ: ائْتِني، وللاثْنَيْن: تياني به، وللجمع: تيننَي، وأتَيْتُ الأمرَ من مَأْتاهُ ومَأْتاته، وآتيْتُ فلانًا على أمره مُؤاتاةً، وهو حُسْنُ المطاوعة[2]، وقوله: ﴿فَأۡتُواْ بِهِۦ﴾؛ أيْ: إتيانًا ظاهرًا؛ أيْ: أمروا بعضَهم أن يُؤتَى به ظاهرًا[3].

2) ﴿أَعۡيُنِ﴾: (عين) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدُلُّ على عُضْوٍ به يُبصَرُ ويُنظَر، العينُ الجارحة النّاظرةُ لكلِّ ذي بَصَرٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾ [المائدة: 45][4]، والعَيْنُ: الَّذي ينظر للقوم، سُمّي بذلك لأنَّه إنَّما ينظرُ بعينه[5]، وفلانٌ بعيْني: أي: أحفظُه وأرعاه، ويُستعارُ (العَيْن) لمعانٍ هي موجودةٌ في الجارحة بنظراتٍ مختلفة، وقيل للمتجسِّس: عَيْنٌ تشبيهًا بها في نظرِها، ولَمّا كانتِ العَيْنُ أفضلَ الجوارح قيل لأفاضل القوم: أعْيانٌ، وشُبِّه نبعُ الماءِ بالعَيْن لما فيها من الماء، ومن عَيْن الماء اشتُقَّ: ماءٌ مَعينٌ؛ أيْ: ظاهرٌ للعيون، ويُقال: عِنْتُ البِئْرَ؛ أي: آثَرْتُ عَيْنَ مائها، قال تعالى: ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ٣٠﴾ [الملك: 30][6]، وتقولُ العربُ:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 155.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أتو) و(أتي).
(3) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 565.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (عين).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (عين).
(6) وقيل: الميم فيه أصليَّة، وإنَّما هو من (معنت)، ينظر: الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 237، والرّاغب، المُفردات: (عين).

إذا ظهرَ الأمرُ وشُهِرَ كان ذلك على أعْين النّاس، يُرادُ: بأعْيُن النّاس[1]، وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أيْ: على رؤوس النّاس[2]، أو: بمَرْأى منهم[3].

3) ﴿يَشۡهَدُونَ﴾: (شهد) أصلٌ يدلُّ على حُضورٍ وعلمٍ وإعلام، لا يخرُج شيءٌ من فروعِه عن هذه المعاني، من ذلك الشَّهادة؛ فهي تجمعُ كلَّ تلك الأصول[4]، والشُّهودُ والشَّهادةُ: الحضورُ مع المشاهدة، إمّا بالبصر، وإمّا بالبَصيرة، والشُّهودُ بالحضور المُجرَّد أوْلَى، والشَّهادةُ مع المشاهدة أوْلَى، قال تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ [الحجّ: 28]، وقال سبحانه: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا﴾ [النُّور: 2]، وقوله تعالى: ﴿يَشۡهَدُونَ﴾؛ أيْ: يشهدونَ عليه بما قالَه فيكون ذلك حُجَّةً عليه بما فعل؛ أيْ: كرهوا أن يأخذوه بغير بيِّنةٍ[5]، أو أنَّ المُرادَ يشهدون عقابَه وما يُصنَع به[6]، والقوْلان أوْلى بتمامِ المعنَى[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لَمّا بلغ نمرودَ وأشرافَ قومه خبرُ ما فعله إبراهيمُ ﷺ، كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة، فأمروا بعضَهم أن يأتيَ به ظاهرًا بمرأى من النّاس؛ ليكون ذلك حُجَّةً عليه، يستحلُّون بها منه ما قد عزموا على أن يفعلوه به، لعلَّهم يحضرون عقابه حتَّى ينزجرَ غيرُه عن الاقتداءِ به في مثل هذا[8].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ تكرار الفعل ﴿قَالُواْ﴾ وبيانُ القائل، وسبب الفصل:

لَمَّا عُلِم للجميع أن إبراهيم هو الفاعلُ: كانت النَّفسُ تتوقَّعُ حُكمهم عليه قولًا؛ ليتم بعدُ فعلًا؛ فقيل: ﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ﴾ من غير واو؛ لأنَّه استئنافٌ بيانيٌّ، ولَمّا كان قوله تعالى في الآية السّابقة: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى﴾ يدلُّ على أنَّ هذا القولَ؛ كان من بعضهم لبعض؛ أيْ:

(1) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 40.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 40.
(3) البغويّ، معالم التَّنزيل: 5/ 324، والخازن، لباب التَّأويل: 3/ 299.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (شهد).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 40، والماورديّ، النُّكت والعيون: 3/ 451.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 40.
(7) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 206، والزَّجّاج، معاني القرآن: 3/ 396.
(8) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 565.

قال بعضُهم لبعضٍ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾، دون إرادةِ تعظيمه مع شُهرتِه وشُهرةِ أبيه وعظمتهما فيهم؛ جاء القول الثّاني: ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ﴾؛ أيْ: مُسبِّبين عن هذا كارهين لأن يأخذوه سرًّا، فيُقال: أُخِذَ بغير بيِّنة، وهم كَفَرَةٌ وهو قد خالفَهم في دينهم، فكان لا بدَّ عندهم من إشهارِ قولِهم هذا ليُعلم أمامَ الجميع بفعله الَّذي قام به[1]، لذا كان القائلُ هنا السّائلين الَّذين تقدَّم ذِكرُهم من قبل في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾[2].

إقامة الحُجَّة على إبراهيمَ بإشهار فعله

إيثارُ فعلِ الإتيانِ على المجيء:

الإتيانُ يدلُّ على مجيء الشَّيء مجيئًا ظاهرًا، وقولُ القائل: أتى فلانٌ يقتضي مجيئه بشيءٍ، أمّا جاء فلانٌ فهو كلامٌ تامٌّ لا يحتاج إلى صلة، ولهذا يُقال: جاء فلانٌ نفسُه، ولا يُقال: أتى فلان نَفْسُه، فلا بدَّ من صلةٍ مع فعلِ الإتيانِ دون المجيء[3]، وهذا المعنَى ظهرَ في سياق الآية جليًّا، فقولُه تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ﴾ يقتضي المجيء مصحوبًا مع شيءٍ ظاهر، وهو هنا إبراهيمُ عليه السلام ليتحقَّق ما يريدون من إظهارِه أمامَ الملأ، ولذلك أتى بعده بقوله: ﴿بِهِۦ﴾، وأيضًا الإتيان يستعملُ في المجيء السهل المُتمَكَّن منه، والحصولُ على إبراهيم كذلك لشهرته فيهم.

إشهارُ إبراهيمَ باضْطحابِه على مَلَأٍ من قومه

دلالةُ فعلِ الأمر ﴿فَأْتُواْ﴾، ونكتةُ تصديره بالفاء:

دلَّ فعل الأمر في قوله: ﴿فَأْتُواْ﴾ على وجوب اصطحابِ إبراهيمَ عليه السلام مع ما يكنُّه هذا الوجوبُ من أنَّ الطُّغاة لا يُقدِّمون الأدلَّة العادلة المُقنعة على من يريدون محاكمتَه أو إدانتَه أو إيقاعَ العقوبة به، فأمرُهم في حدِّ ذاته حكمٌ بالإدانة وعدم البراءة، وهو عندهم الحقُّ الَّذي لا جدالَ فيه، وإظهارُهم لأدلَّةٍ إيهامٌ بإنصافهم وعدالتهم،

حرصُ الظّالمين على الإتيانِ بالمتَّهم البريء والإسراعِ في عقوبته

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 439.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 712، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 565.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أتي)، والعسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 152.

وصُدِّرَ فعلُ الأمر بالفاء لإفادة التَّعقيبِ والإسراعِ في الإتيانِ به ﷺ، فإنَّ مَن يُدينُه الظّالمون لا بدَّ من الإسراع في عقوبته[1].

علَّةُ تَعديَةِ الفعل بـ ﴿عَلَىٰٓ﴾:

حرفُ ﴿عَلَىٰٓ﴾ يفيد الاستعلاء، وهو واردٌ على طريق المَثَل؛ أيْ: يثبت إتيانُه في الأعْيُنِ ويتمكَّن فيها ثبات الرّاكب على المركوب وتمكُّنه منه، فقد اسْتُعيرت ﴿عَلَىٰٓ﴾ لتمَكُّن الرُّؤية وتحقُّقِها في أبصار المشاهدين[2].

حـرصُ الـكَـفـرَة على رؤية النّاس مـصـيرَ مَـن يُخالفُهم

دلالةُ قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾:

دلَّ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ على تمام المعاينة والمشاهدة؛ أيْ: بمَرْأى منهم ومَنْظر[3]؛ أي: على رؤيتهم؛ أيْ: ظاهرًا لهم[4]، فإذا ظهرَ الأمرُ وشُهِر؛ كان ذلك على أعْيُنِ النّاس؛ أيْ: بأعْيُن النّاس[5]، فكأنَّ تلك الرُّؤية أصبحت لصيقةً بأعيُنهم لا تغادرها، والتَّعبيرُ بـ﴿أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أقوى في الدَّلالة من القول (نهارًا)؛ من حيث إرادةُ المبالغة في ظهور الرُّؤية والتصاقها بالأعين، فإنَّ ذلك قد لا يتحقَّقُ بتمامه ولو كان في وضَحِ النَّهار لدى الجميع أو بعضهم.

إظـهـارُ تـهـمـةِ إبـراهـيـمَ، ثـمَّ عـقـوبـتـه على تـمـام رؤيـة النّاس

علَّة فصل ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾:

جاءت هذه الجملة: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ تعليلًا لما قبلها من مجموع الأمر وما يتعلَّق به؛ فلهذا غابت الواو على الأصل؛ لأنَّ المُعَلَّل والتَّعليل كالشَّيء الواحد؛ كالمُضاف والمُضاف إليه؛ هل يُعطَف المُضاف إليه على المضاف؟

وجاء الفصلُ بـ ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾؛ لأنَّ التَّرجّي أوفقُ بحصولِ الشَّهادة، وحضورِ العقوبة بعد تمكُّن الرُّؤية[6].

تَرجّي العقوبة بـعـد تـمـكُّـن الرُّؤية

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/ 577.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 62.
(3) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/ 577.
(4) العُكْبَري، إملاء ما منَّ به الرَّحمن: 2/ 134.
(5) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 40.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 62.

سرُّ إيثار ﴿يَشْهَدُونَ﴾ مادَّةً وصيغة:

حـضـورُ فـعـلِ إبـراهـيـم، وعقوبته لزَجْرِ غـيره حـاضـرًا ومستقبلًا

آثر النَّظمُ الكريمُ الفعل ﴿يَشْهَدُونَ﴾؛ لتحقُّقِ مدلوله، وهو حضورُ عقوبة إبراهيمَ ﷺ ومِنْ ثمَّ إيراد البيِّنة المتهافتةِ في حقِّه أمامَ النّاس[1]، ثمَّ إظهار ما يُصنَعُ به ويعاتَبُ ويُعاقَب[2]، أو أنَّ المرادَ يشهدون بفعله وبقوله ذلك، ومجموعُ الوجهَيْن أوْلى بالمقام[3]، وأفادت صيغةُ المضارع تجدُّدَ واستمراريَّةَ هذا الشُّهود العَلَني في أنظار النّاس على مستوى الفرد والجماعة؛ ليستمرَّ زجرُهم عمَّن تُسوِّلُ له نفسُه في المستقبل القيامَ بفعل إبراهيمَ ﷺ فلا يتَّخذه قدوةً له.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإتيان والمجيء:

الإتيانُ مجيءٌ بشيء، والمجيءُ يـكـون بـنـفسِ الجائي فحَسْب

الإتيانُ يدلُّ على مجيء الشَّيء مجيئًا ظاهرًا، وهو يقتضي مجيء الآتي بشيءٍ معه، ولذلك لا بدَّ من صلةٍ مع الفعل (أتى)؛ فلا يقال: أتى فلانٌ نفسُه، وأمّا المجيءُ فهو يقتضي مجيء الشَّيء بنَفْسِه، فإذا قيل: جاءَ فلان، فهو كلامٌ تامٌّ لا يحتاج إلى صلةٍ؛ ولهذا يُقال: جاءَ فلانٌ نفسُه[4]، وظاهرٌ كون الأبلغ هنا التعبير بالإتيان.

العَيان والظّاهر:

يشتركان فيما يقع تحت رؤيا العين، والأوَّل خاصٌّ والثّاني عامٌّ

العَيان هو الأمرُ الظّاهر للعَيْن، وعاينه مُعاينةً وعيانًا وعَيانًا: رآه بعينه، وهو كالقول: هو بمرأى منّي؛ أيْ: أراه بعيني، ويقولون: لقيتُه عَيْنَ عُنَّةٍ؛ أي: عيانًا، ولقيتُه عيانًا ومُعاينةً: لقيته مُشاهدةً؛ أيْ: لم أشُكّ في رؤيتي إيّاه، ويُقال: شاهدُ عيان: شاهدٌ عينيٌّ ثابتٌ، وهو مَنْ رأى الحَدَثَ معاينَةً؛ أيْ: مشاهدةً، ويشهد بذلك[5].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 155.
(2) الخازن، لبابُ التَّأويل: 3/ 299، وأبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 712.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 155، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 62.
(4) ابن فارس، مقاييسُ اللُّغة: (أتي)، والعسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 152.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، ومجموعة من المؤلِّفين، المعجم الوسيط: (عين).

والظّاهرُ هو الَّذي انكشفَ وبَرَز، من ظهرَ الشَّيءُ يظهرُ ظُهورًا، فهو ظاهر، ولذلك سُمّي وقتُ الظُّهرِ والظَّهيرة، وهو أظْهرُ أوقاتِ النَّهار وأضوَؤُها، والأصلُ فيه كلِّه ظَهْرُ الإنسان، وهو خلاف بَطْنِه، وهو يجمعُ البروزَ والقُوَّة[1]، وظهرَ الشَّيءُ أصلُه: أن يحصل شيءٌ على ظَهْرِ الأرض فلا يَخْفى، ثمَّ صارَ مُستعارًا في كلِّ بارزٍ مُبْصَرٍ بالبَصَرِ والبَصيرة، قال تعالى: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: 26]، وقال سبحانه: ﴿نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20][2]، والأنسب بسياق إقامة الحُجَّة على إبراهيم ومحاكمته؛ لاتهامه - مِن قِبَل قومه؛ التعبيرُ بما هو مِن باب العيان: ﴿أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾.

الشَّهادة والرُّؤية:

الشّاهدُ نقيضُ الغائب في المعنَى، والشَّهادةُ: علمٌ بوجود الأشياء لا مِنْ قِبَلِ غيرِها، ولهذا سُمّيَ ما يُدْرَك بالحواسّ ويُعلَمُ ضرورةً: شاهدًا، فالشَّهادةُ علمٌ يتناولُ الموجود[3]، والشُّهودُ والشَّهادةُ: الحضورُ مع المشاهدة، إمّا بالبَصَر وإمّا بالبصيرة، قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحَجُّ: 28][4]، والرُّؤيةُ لا تكون إلّا لموجودٍ كالشَّهادة، وكلُّ رؤية لم يعرض معها آفةٌ فالمَرئيُّ بها معلومٌ ضرورةً، والرُّؤيةُ في اللُّغة على ثلاثةِ أوْجُه؛ **أحدها**: العلمُ، كما في قوله: ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: 7]، **والآخرُ** بمعنَى الظَّن كما في قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾ [المعارج: 6]؛ أي: يظنُّونه، واستعمالُ الرُّؤية في هذيْن الوجهيْنِ مَجاز، **والثّالثُ**: رؤيةُ العين، وهي حقيقة[5]، والشهادة أقوى في نفسها من الرؤية في نفسها؛ فهي أقوى في مقام إقامة الحجة على إبراهيم عليه السلام.

الرُّؤيةُ كالشَّهادة لا تكونُ إلّا لموجود، ولكنَّها أعمُّ منها

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ظهر).
(2) الرّاغب، المفردات: (ظهر).
(3) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 305.
(4) الرّاغب، المفردات: (شهد).
(5) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 263.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»